# الإحبـاط

ها أنت تقبع في هذه الحجرة ذات الأثاث اللامع، والفراش الزاهي، حيث تتناثر أوراقك وكتبك على المنضدة بإهمال، تنفث دخان سيجارتك وتشخص ببصرك محملقًا في صورة طفلتك، وكلماتها التي مازالت ترن في أذنيك، عندما حملت حقيبتك وعزمت على السفر، تشبثت بك وأجهشت بالبكاء، وهي تتساءل:

- إلى اين يا أبي إلى أين؟

- إلى المدينة يا صغيرتي لأشتري لك دمية وحلوى من هناك.

المنضدة أمامك تمتلئ بأعقاب السجائر، تطفئ السيجارة لتشعل الأخرى، الوقت يمضي، عقارب الساعة تقترب من الثانية بعد منتصف الليل، النوم لم يداعب جفنيك، تطل من الشرفة، تلمح أنوار المدينة تتلألأ، تعود من جديد إلى مجلسك، تتذكر كيف وطئت قدماك هذه العاصمة الكبيرة لأول وهلة، راعك الزحام الفظيع، الأرصفة تكتظ بالناس،

والسيارات الكثيرة من مختلف الأشكال والماركات، في هذا الفندق الرفيع تبدو على ملامح النزلاء الأناقة والثراء، تعلمت كيف تصبح أنيقًا مثلهم وتضع رباط العنق، عدت إلى الوراء بذهنك إلى مدير المدرسة التي كنت تعمل بها، في تلك القرية الصغيرة حيث قال لك بالحرف الواحد:

ـ أنت يا إبراهيم مدرس وكاتب ليس هنا مكانك، «هل يود التخلص مني أم ماذا؟ لكن ماذا فعلت له حتى يتخلص منك؟».

أم يشفق عليك من مهنة التدريس؟ المهنة الصعبة والقنطرة التي تعبرها الأجيال بينما أنت في مكانك لا تتغير، تحترق من أجل الآخرين، تكد وتتعب من أجل أن ترى تلاميذك كزرع نما وأخرج شطأه، مدير المركز الثقافي هو الآخر عندما اقترحت عليه إقامة ندوة أو أمسية ثقافية ابتسم في وجهك قائلًا:

ـ إن كان تبى ندوات وأمسيات ثقافية عليك بالعاصمة طرابلس.

ووجدتها فرصة سانحة فقررت السفر، استقر بك المقام في هذا الفندق الرفيع، ما إن تتجاذب أطراف الحديث مع أحد النزلاء، حتى يمطرك بكلمات الإعجاب والإطراء:

ـ لقد قرأت مجموعتك القصصية «المشجب» كم هي رائعة.

عندها كنت تحس بالغرور والكبرياء، تغتر في مشيتك في بهو الفندق كالطاووس الصحف والمجلات تكتب عنك والتليفزيون يستضيفك، ولكن ها قد مضت عليك هنا أكثر من تسعة أشهر فماذا كتبت؟ وجل أوقاتك تضيع في الأحاديث الفارغة الجوفاء، فتشرع تحكي عما أنتجته في الماضي من قصص قصيرة في تلك القرية منبت الإرهاصات الجميلة.

وما إن ينتصف الليل، حتى تهرع إلى غرفتك، تأخذ القلم بين أناملك لكن الحنين يعاودك، ويهزك الشوق لنبع لا ينضب، تتذكر طفولتك الشقية في تلك القرية، حيث كنت مع رفاق العمر تمضون جل أوقاتكم في مطاردة «الجرابيع» وشى «القعمول» على مرأى من تلك الوجوه

الطيبة التي لفحتها الشمس في مواسم الحصاد، امتدت يدك إلى آخر رسالة وصلتك من تلك المخلوقة الطيبة التي أكل يديها خبز التنور.

زوجي العزيز/ إبراهيم.

تحياتنا وأشواقنا إليك..

طفلتك ربيعة لا تكف من السؤال عنك في لهفة وشوق، ها قد طالت غيبتك والسيدة والدتك ما تنفك تدعو لك بالعودة إليها سالمًا في كل صلاة.

تلاميذك من حين لآخر يترددون علينا يسألون عنك، وأحدهم هو الذي قام بكتابة هذا الخطاب إليك كيف أنت؟ وما هي أخبارك؟ ومتى تعود إلينا؟

المنتظرة عودتك/ زوجتك.

أنتم معي دائمًا وصوركم تتراءى لي، ولا تفارقني لحظة واحدة، ما أبشع الوحدة والمرض آه ... المرض هل تتذكر تلك الحمى اللعينة التي أجبرتك على أن تلزم الفراش لمدة

ثلاثة أيام بلياليها؟ أحسست وكأنها ثلاثة أعوام.. تلك الوجوه الشمعية المحنطة التي كانت دائمًا تلتف حولك في جلساتك، ولم تفارقك قط ها هي قد اختفت، ولم يعد يسأل عنك أي واحد منهم، حتى الدواء يوم أن أصابتك الحمى لم تجد من يأتيك به سوى ذلك العامل السوداني الطيب القلب، من يومها سخطت عليهم، وأصبحت تكره النفاق والرياء، والابتسامات المصطنعة لتذهب تلك الشهرة إلى الجحيم خلال إقامتك في هذا الفندق الرفيع ماذا أنتجت؟ لا شيء! الأفكار تهرب منك، القلم يتسمر بين أناملك، تحس أنك مجرد رقم صغير تائه ضائع في هذه المدينة الكبيرة المزدحمة، حتى الوجبات اليومية الدسمة لم تعد تحس بطعم لها في فمك، غدت كقطع من البلاستيك، هذا الجحيم لم يعد يطاق، أخذ ضوء الصباح يزحف تهزم أمامه جحافل الظلام، ما إن أشرقت الشمس حتى كان إبراهيم قد جهز حقيبته وارتدى ملابسه، وألقى نظرة وداع على تلك الغرفة الوثيرة، راكبًا

أول سيارة قاصدة قريته في أقصى الشرق، وفي الطريق تراءت له زوجته كغزالة شاردة تركض عبر الحقول وسنابل القمح الأصفر، وخطرت له فكرة رائعة لمشروع رواية جديدة، سيشرع في كتابتها هناك، حيث الطبيعة الساحرة، والسواعد السمراء الكادحة، وتلامذته الذين سيفرحون بلقائه وعودته ويمطرونه بمئات الأسئلة، هناك حيث تورق السنابل وتزهر الكلمات وتبتهج الحياة.